ما أجمل الصدق ..ما أروعه حين يسود حياة البشر كما هو سائد فى الطبيعة بين الأشجار والطيور ..وبين تشابك الأغصان وخضرة الأوراق وزقزقة العصافير..

وما أقبح الكذب ..ما أبشعه حين يلتف حول رقابنا وحياتنا كما تلتف الحية حول فريستها فيملأ الرعب والشك والريبة حياتنا ويصبغ واقعنا بكافة أشكال الجحيم.

الصدق مطية الأبرار إلى الجنة ..والكذب مطية الفجار إلى النار ..

الصدق طريق معبد بالأشواك ..من سار عليه جرحت قدماه وأدميت يداه ..ولكنه أقصر الطرق إلى رضاء الله والجنة ..والكذب طريق سهل معبد بالزهور والورود والأساطير وكافة الفنون، ولكنه طريق طويل ملتو عسير! !

الصدق ليس هو قول الحق فى السر فحسب، بل هو حيوية الإحساس بالحق، وجماله، وقوته، والتفاعل معه، شكلا وموضوعا، والحرص على أدائه بجدية ونشاط.

والصدق أنواع ..صدق مع الله ..صدق مع الناس ..صدق مع النفس..

وطوبى لعبد صدق مع ربه ..فهو يحبه بصدق ..ويقبل على طاعته بصدق ..ويفر من معصيته ..ويكره النار بصدق ..ويحب الجنة بصدق ..ويترجم كل هذا الصدق بما تأتيه جوارحه وتنتهجه أفكاره، وتترجمه سلوكه.

الصدق جُنَّةٌ .وقاية وحماية من شرور كثيرة لا قبل للمرء بمواجهتها..

والكذب خطيئة ..يتولد عنه أخطاء كثيرة لا قبل للمرء بدرئها ..من أصغر الجرائم إلى أكبرها ..فإن كانت الخمر أم الكبائر ..فإن الكذب أبوها الذى من خلاله تغرس بذرة الفساد فى حياة العباد وكفى بها بذرة سوء! !

وللكذب صور عديدة منها

(١) المبالغة فى النقل وزخرفة القول

بما يلقى فى روع السامع خلاف الحقيقة قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[١] وقال ابن عباس -رضى الله عنهما فى قوله تعالى ﴿وَلاَ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [٢] أى ولا تخلطوا الصدق بالكذب.

ويقول فرنسيس بيكون: (حتى أولئك الذين لا يعرفون الاستقامة والأمانة فى معاملتهم يعترفون بأنهم فخر الطبيعة الإنسانية، وبأن خلط الحق بالباطل كخلط الذهب بالنحاس قد يسهل استخدام المعدن، ولكنه يحط من قيمته لأن هذه السبل ملتوية كسير الأفعى سيراً سافلاً على بطنها لأعلى أقدامها.

(٢) الاقتصار على بعض الحقيقة

وما أشبه هذا الصنف من الكذابين والكذابات بمن يستشهدون من القرآن بآيات مبتورة يفسد البتر معناها كأن يقولوا قال تعالى (ويل للمصلين) أو (لا تقربوا الصلاة) أو (يد الله مغلولة) أو (إن الله فقير).

(٣) إظهار خلاف ما يبطن المرء فى قلبه من حب أو بغض أو غير ذلك

وهو ما يسمى بالنفاق قال تعالى ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾[٣] وقال النبى ﷺ (تجد من شرار الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين، الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه)[٤].

(٤) الملق وهو التزلف

إلى الغير بكيل المديح له من غير استحقاق إياه.

---

(١) غافر / ٢٨

(٢) البقرة/٤٢

(٣) النساء / ١٤٥

(٤) رواه البخارى

(٥) خلف الوعد وهو من الكذب العملى

قال تعالى ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[1].

(٦) التحفظ والتعمية من غير داع

كأن يسأل المرء عن شئ يعلمه فيقول الله وحده هو الذى يعلم. قال عيسى عليه السلام (من أعظم الذنوب عند الله أن يقول العبد إن الله لما يعلم).

(٧) الافتخار والاختيال والادعاء على عباد الله

أن الله قد وهبه من النعم والعطايا المادية والمعنوية ما يجعله فى مكانة سامية تفوق غيره من العباد قال تعالى ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[2].

(٨) شهادة الزور

وهى أبشع صور الكذب، وقد أمرنا الله تعالى بتجنبها فقال (وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ)[3] وبين الرسول الكريم ﷺ (إن من أكبر الكبائر شهادة الزور)[4].

الكذب عار لا يحتمل، وسبة يبرأ الناس منها ..الكذاب يخشى الناس ولا يخشى الله وهو معه أينما صار أو كان قال تعالى ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ﴾[5].

يقول ابن المقفع (وقيل فى أشياء ليس لها ثبات ولا بقاء: ظل الغمام، وخلة الأشرار، وعشق النساء، والنبأ الكاذب، والمال الكثير).

---

(١) التوبة ٧٥-٧٧

(٢) لقمان / ١٨

(٣) الحج / ٣٠

(٤) رواه البخارى

(٥) النساء / ١٠٨

ويقول أبو حاتم بن حبان (لو لم يكن للكذب من الشين إلا إنزالة صاحبه بحيث إن صدق لم يصدق، لكان الواجب على الخلق كافة لزوم التثبت بالصدق الدائم، وإن من آفة الكذب أن يكون صاحبه نسيا، فإذا كان كذلك كان المنادى على نفسه بالخزى فى كل لحظة وطرفة) من أجل ذلك قالوا إن كنت كذوبا فكن ذكورا.

– **ويقول إبراهام لنكولن** (إنك تستطيع أن تخدع جميع الناس نصف الزمن .. ونصف الناس جميع الزمن .. ولكنك لا تستطيع أن تخدع جميع الناس جميع الزمن) .

– الكذب غدر خبيث، واستغلال لثقة سامعك بك والواثق فى أمانتك، قال ﷺ : **(كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له كاذب)** .

– ولكن .. لماذا الكذب ؟

يذكر علماء النفس أن هناك عدة عوامل تؤدى بأصحاب النفوس الضعيفة إلى الكذب .. والكذب الانتقامى هو عادة نوع من الكذب يصدر من نفوس غير سوية مفعمة بالحقد والحسد والكراهية للغير وقد تكون بسبب أو بغير سبب ظاهرى. فالحقد والحسد إذا استقر فى فكر إنسان قيداه .. وغدا الإنسان أسيرا لهما، يتحرك كيفما أرادا لا كيفما ينبغى له التحرك.. وعادة يندفع صاحبه إلى إلصاق الشائعات المغرضة بذلك الإنسان المحسود، رغبة فى تلويث سمعته وشرفه وإذاقته من كأس الهوان والذل تشفيا فيه ،وليس للمحسود ذنب أو المحقود عليه جريمة سوى أن الله قد حباه بفضل، أو موهبة لم يهبها للحاسد أو الحاقد. وهذا ينطبق تماما على حادثة الإفك الشهيرة التى أشاعها المنافقون بحق الطاهرة، العفيفة، الصديقة، عائشة – رضى الله عنها وأرضاها، مما أحزن النبى ﷺ وتأثرت حياته، حتى أنزل الله براءتها فى قرآن يُتلى إلى يوم

الدين ... فقال الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ (١) .

– ومن ذلك أيضا قصة امرأة العزيز ويوسف عليه السلام والقصة معروفة مشهورة، سردها القرآن بأسلوب كله أدب وعفة.

الكذب بدافع عزة النفس:

هلال بن أمية وزوجته وقصة الملاعنة: روى الإمام أحمد باسناده عن ابن عباس أن أحد الصحابة الكرام ويدعى هلال بن أمية جاء من أرضه عشاء فوجد عند أهله رجلا فرأى بعينيه وسمع بأذنيه فلم يهيبه حتى أصبح فغدا على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنى جئت أهلى عشاء فوجدت عندها رجلا، فرأيت بعينى وسمعت بأذنى. فكره رسول الله ﷺ ما جاء به واشتد عليه واجتمعت عليه الأنصار وقالوا: قد ابتلينا بما قال سعد بن عبادة إلا أن يضرب رسول الله ﷺ هلال بن أمية ويبطل شهادته (حد قذف المحصنات) وجاء فى رواية البخارى قول رسول الله ﷺ لهلال بن أمية البينة أو حد فى ظهرك ..وهلال يقول: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلا هل ينطلق يلتمس البينة؟ ..وقال هلال: والله إنى لأرجو أن يجعل الله لى منها مخرجا، وقال هلال: يا رسول الله فإنى قد أرى ما اشتد عليك مما جئت به والله يعلم أنى لصادق ..ويقول ابن عباس: فوالله إن رسول الله ﷺ يريد أن يأمر بضربه إذ أنزل الله على رسوله ﷺ الوحى. وكان إذا أنزل عليه الوحى عرفوا ذلك فى تربد وجهه (يعنى أمسكوا عنه حتى إذا فرغ من الوحى) فنزلت الآيات

---

(١) النور /١١- ١٢

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾[1]. فسرى عن رسول الله ﷺ فقال: أبشر يا هلال ..قد جعل الله لك فرجا ومخرجا فقال هلال: كنت أرجو ذلك من ربى عز وجل ..فقال رسول الله ﷺ: "أرسلوا إليها" ..فأرسلوا إليها فجاءت فتلاها رسول الله ﷺ فذكرهما وأخبرهما أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا ..فقال هلال: والله يا رسول الله لقد صدقت عليها. فقالت: كذب ..فقال رسول الله ﷺ: لاعنوا بينهما ..فقيل يا هلال أشهد ..فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، فلما كانت الخامسة قيل له يا هلال اتق الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، وأن هذه الموجبة التى توجب عليك العذاب، فقال: والله لا يعذبنى الله عليها كما لم يجلدنى عليها، فشهد الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ثم قيل للمرأة: اشهدى أربع شهادات بالله أنه لمن الكاذبين ..وقيل لها عند الخامسة: اتقى الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، وأن هذه الموجبة توجب عليك العذاب ..فتلكأت ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت: والله لا أفضح قومى ..فشهدت الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ..ففرق رسول الله ﷺ بينهما وقضى أن لا بيت لها عليه، ولا قوت لها من أجل أنهما يفترقان من غير طلاق ولا متوفى عنها .. ولا يدعى ولدها لأب ولا يرمى ولدها ومن رمى ولدها فعليه الحد ..وقال ﷺ: وإن جاءت بالولد أصيهب (فى شعره حمرة) أريسح (خفيف لحم الأليتين) حمش الساقين (رفيعة) فهو لهلال .. وإن

---

(١) النور ٦-١٠

جاءت به أورق (أسمر) جعدا (شديد الأسر والخلق) جماليا (ضخم الأعضاء) خدلج الساقين (عظيمه) سابغ الآليتين (عظيمة اللحم أو الشحم) فهو الذى رميت به ..فجاءت به أورق جعدا جماليا خدلج الساقين سابغ الآليتين ..فقال رسول الله ﷺ لولا ما مضى من كتاب الله لكان لى ولها شأن[1].

وقيل لرسول الله ﷺ يوما: أيكون المؤمن جبانا؟ ..قال: نعم. قيل له: أيكون المؤمن بخيلا؟ قال: نعم. قيل له: أيكون المؤمن كذابا؟ قال: لا. (رواه مالك).

الكذب أساس البلايا ورأس الخطايا، إذا سلم منه المرء سلم من كل الآفات.. هو قائد ورائد جيش الذنوب والخطايا فإن أرادت المرأة الصالحة أن تهزم هذا الجيش وتقضى عليه ..عليها أن تبدأ بقائد المسيرة وزعيمها فتقضى عليه فيستسلم لها بقية الجنود وينقذها الله من شرور الهزيمة والفضيحة الدنيوية والأخروية ويكرمها بالنصر والتقى والجنة كما أخبرنا الرسول الكريم ﷺ ..فقد روى عن النبى ﷺ جاء أعرابى إلى النبى ﷺ فأسلم ثم قال: يا رسول الله أنى أوخذ من الذنوب بما ظهر وأنا أستسر بخلال أربع الزنا والسرقة وشرب الخمر والكذب فأيهن أحببت تركت لك سرا فقال رسول الله ﷺ دع الكذب فلما ولى من عند رسول الله ﷺ هم بالزنا فقال يسألنى رسول الله فإن جحدت نقضت ما جعلت له وإن أقررت حددت (أى أقيم على الحد) فلم يزن ثم هم بالسرقة ثم هم بشرب الخمر ففكر فى مثل ذلك فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله قد تركتهن جمع.

وقالت أسماء بنت عميس: كنت صاحبة عائشة فى الليلة التى هيأتها وأدخلتها على رسول الله ﷺ ومعى نسوة، قالت: فوالله ما وجدنا عنده قرى إلا قدحا من لبن، فشرب ثم ناوله عائشة، قالت، فأستحيت الجارية (عائشة)

---

(١) انظر القصة فى صحيح البخارى فى تفسير سورة النور

فقلت لها: لا تردى يد رسول الله ﷺ خذى منه، قالت: فأخذت منه على حياء فشربت منه ثم قال: ناولى صواحبك، فقلن: لا نشتهيه فقال: لا تجمعن جوعا وكذبا، قال فقلت يا رسول الله إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه لا أشتهيه أيعد ذلك كذبا قال: إن الكذب ليكتب كذبا حتى تكتب الكذيبة كذيبة)[1].

وفى دراسة نفسية للأطفال المجرمين قام العلامة فريانى بدراسة اعتياد هؤلاء الأطفال الكذب ومن ثم ارتكابهم للآثام فنجد أن هناك تسعة أسباب ذكرها كالآتى حسب زيادة نسبتها:

(١) الكذب التخيلى.

(٢) الكذب بدافع الغرائز والضعف.

(٣) الكذب بدافع الدفاع عن النفس.

(٤) الكذب بدافع الأنانية والأثرة.

(٥) الكذب بدافع الكسل عن أداء الأعمال.

(٦) الكذب بدافع الغرور والرغبة فى النيل من الآخرين.

(٧) الكذب بدافع المحاكاة والتقليد للآباء والأمهات والأخوة الكبار والمعلمين.

(٨) الكذب بدافع الغيرة والحسد والرغبة فى الانتقام.

(٩) الكذب بدافع عزة النفس.

لذا فإن الكذب يعد معول هدم لصرح الخلق القويم والفضيلة فى المجتمع وما أجمل وصف ابن المقفع له (رأس الذنوب الكذب، هو يؤسسها وهو يتفقدها ويثبتها بثلاثة ألوان: بالأمنية والجحود والجدل، يبدو لصاحبه بالأمنية الكاذبة فيما يزين له من الشهوات فيشجعه عليها بأن ذلك سيخفى فإذا ظهر عليه قابله بالجحود والمكابرة فإن أعياه ذلك ختم بالجدل فخاصم عن الباطل

---

(١) رواه أحمد ٦ / ٤٣٨

ووضع له الحجج والتمس به التثبيت وكابر به الحق حتى يكون مسارعاً للضلالة ومكابراً بالفواحش.

وحسب الكذاب عقاباً تكذيب الناس له وإن كان صادقاً، قيل لارستطاليس ما كسب الكذابين؟ قال عدم تصديقهم فى شىء وإن وافقوا الواقع وما أصدق المثل العربى (ليس لكذاب رأى).

وشرور الكذب كثيرة لا يغفل عنها عاقل ..ولا يستهين بها إلا جاهل ..منها الشك والريبة، والقلق النفسى، والعداء الاجتماعى ..والاندفاع والتهور وارتكاب الحماقات ..وقطع الصلات، وتأليف العداوات بدل من الصداقات، وانقلاب الحب إلى كراهية عمياء ..لقد استهان أحد الناس السذج يوما بالكذب فماذا كانت النتيجة؟ مضى رجل إلى السوق ليشترى حاجاته فوجد رجلا ينادى فى السوق بأعلى صوته ويقول: من يشترى هذا الغلام على عيبه؟.. فسأله: وما هو عيبه؟ ..قال: يكذب كل يوم كذبة ..فضحك واستهان بالأمر واشتراه بثمن بخس على عيبه!! ومضى إلى بيته حيث تنتظره زوجته، كان يعيش فى سعادة وهناء معها، ولم يحدث يوما ما يعكر صفو حياتهما الأسرية ..ومضى يومان وثلاثة ولم يحدث شئ ..وفى اليوم الرابع اشتاق الغلام إلى كذبة محبوكة يجعلها تسرى فى أوصال العلاقة الزوجية كما تسرى النار فى الهشيم، ثم هداه شيطانه إلى أن يمضى إلى سيدة البيت فيقول لها: سيدتى ..إن زوجك رجل غير مخلص لك، فقد قرر أن يتزوج بأخرى وما أحببت أن أذكر لك هذا حتى لا تغضبى منى ..وهنا ثارت المرأة ودفعتها غيرتها العمياء إلى أن تنسى وفاء زوجها لها طوال هذه السنوات، ولم تدر ماذا تصنع تجاه تلك الملمة والأزمة التى جدت عليها؟ فسألته: وماذا أصنع؟ ..فأجاب: إن بإمكانك أن تطردى تلك الفكرة الشيطانية من رأسه بأن تأتينى ببعض شعيرات لحيته من أسفل ذقنه لأعمل له عملاً. قالت: وكيف أصنع ذلك؟.. قال: فى المساء وعقب أن يدخل فى نومه العميق أمسكى بالسكين وخذِى بعضا من شعيرات ذقنه، فلن

يشعر بك وأعطينى إياها ..وللأسف صدقت المـرأة ببلاهـة شـديدة، وقـررت أن تنفذ ما أملاه عليها ذلك الشيطان الكذوب فى مساء تلك الليلـة ..ومـا أن تـأكد هذا الغلام من سيطرة فكرته ومقالته على المرأة حتى مضى إلى زوجـها لينبأه بنبأ مصرعه الليلة إن لم يحتط لنفسه جيداً ..فتعجب الرجل وقال: ومن ذلك الـذى يصرعنى؟ فأجاب الغلام فى حسرة وألم: زوجتك!! قال: وكيف ذلك؟.. قال: اتفقت مع عشيقها على قتلك الليلة بـأن تجـز رقبتـك بالسـكين ..فثـار الرجـل واغتاظ ولم يتمالك نفسه وقال: ومن قال لك هذا؟.. قال: سمعتها بـأذنى، ومـا عليك إلا أن تتناوم الليلة وتنتظر ما هى صانعة، فان جاءت بالسـكين ووضعتـه على رقبتك حينئذ تعرف صدق روايتى وحبى لك، وإن لم يحدث فافعل بى ما تشاء ..وللأسف صدق الرجل كذب الغلام، ونسى أن عيـب الغـلام الـذى بيـع معه هو الكذب!! وفى المساء وحين انتصف الليل وخيم السكون على كل مكان ..تظاهر الرجـل بأنـه نـائم، ومشـت زوجتـه بخطـوات بطيئـة إليـه وأمسـكت بالسكين لتقطع شعيرات من أسفل لحيـة زوجـها لتعطيـها للغـلام ليصنـع لهـا حجابا يبغض زوجها فى عروسه الجديدة، ويبقيه على حبه لها ..وهنا أمسـك الزوج بيد زوجته والسكين وصرخ واتهمها بأنها خائنـة وقاتلـة ..فاتهمتـه هـى بالغدر والخيانة وعدم الوفاء فقتلـها ..وفـى الصبـاح علـم أهلـها بالخـبر فقتلـوه ..فاغتاظ أهله فقاموا إلى أهلها وتقاتلت القبيلتان حتى صار ضحاياهما أكثر مـن أحيائهما ..وكل ذلك بفضل وشاية غلام كذوب.

وما يقال عن الرجل يقال أيضا عن المرأة..

احـذروا المـرأة الكـذوب فسـمومها لا تعـالج ..ولا تسـتهينوا بتلـك الخصلـة الشنعاء .